✸ تابع : التفسير

لو تكلم الإنسان في القرآن برأيه وبدون علم واتباعٍ للهوى فهذا حرام شرعًا.

تنبيه على مسألة الكلام في التفسير بدون علم.

أريد أن أنبه إلى هذه المسألة غاية الخطورة، وأنا ألاحظ من يفعلُ ذلك، فبعضهم طبيب أو مهندس ثم يأتي وبدون علم بالقرآن ولا بلغة القرآن، ولا بأسباب النزول، و يتكلم في القرآن الكريم.

مثال: يأتي فيفتي ويقول أحدهم إنه يجوز لك أن تشرب الخمر، ولكن لا تقرب الصلاة وأنت في حالة سكر بدليل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء :43]، هذا دليل في ظاهره صحيح، ولكنه في الواقع غير صحيح لأن هذا الذي يتكلم بغير علم ويفتي بهذه الفتوى لا يعرف أن هذه الآية قد نسخت، وانتهى العمل بها منذ أن نزل قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة :90]، فقليله وكثيره محرم، ليس فيه قولان.

فلا بد أن يعرفَ من يتكلم في تفسير القرآن الكريم كل هذا الكلام، ولذلك نقول للناس: لا تتكلم في كتاب الله إلا إذا عرفت هذه العلوم، وعرفت هذه الأصول، وعرفت هذه الشروط، ثم بعد ذلك يمكنك أن تتحدث في التفسير.

✸ مناهج العلماء في تفسير القرآن الكريم

عندما تأتي وتستعرض تاريخ التفسير من عهد النبي ﷺ إلى اليوم، فما هي المناهج التي يمكن أن تستخرجها؟

نقول: هذه هي مناهج التفسير، هناك من سلك هذا المنهج، وهناك من سلك هذا المنهج، وهناك مَن سلك هذا المنهج.

ننظر في واقع كتب التفسير وتاريخ التفسير ونُخرج منها المناهج، فهي مسألة مبنية على الاستقراء،

من خلال الاستقراء تبين أنها لا تخلو من حالات:

- ❖ إما أن يكون تفسيرًا بالمأثور.
- ❖ وإما أن يكون تفسيرًا بالرأي.

هذا التقسيم في الحقيقة أنه غير دقيق، لأن التفسير بالمأثور يدخل فيه التفسير بالرأي

التفسير بالمأثور: هو تفسير القرآن الكريم بما أُثر يعني بما حُفظ، بما رُوي عن النبي ﷺ أو عن الصحابة، أو عن التابعين.

فهذا يسمونه التفسير بالمأثور،وهذه التسمية متأخرة، الذي أطلقها علماء متأخرون وبعضهم معاصرون.

مثل: الشيخ محمد الذهبي -رحمه الله- صاحب كتاب "التفسير والمفسرون"

يقصد بالتفسير بالمأثور: ما أُثر عن السلف: الصحابة والتابعين، وأتباع التابعين.

يقصد بالتفسير بالرأي: هو استخدام العقل أو الرأي المحمود أو المذموم في تفسير القرآن الكريم، كاستخدام اللغة العربية في فهم القرآن الكريم، استخدام القواعد الأصولية في فهم القرآن الكريم، ونحو ذلك.

مثال: عندما يأتي عبد الله بن عباس الآن ويُفسر القرآن الكريم برأيه وفهمه واستنباطه، هل نسميه تفسير بالرأي، أم نسميه التفسير بالمأثور؟

الصواب: أنه يطلق عليه التفسير بالرأي، باعتبار أنه قام بالتفسير بناء على استنباطه، وعلى فهمه، وعلى رأيه، ويسمى تفسيرا بالمأثور بالنسبة لنا باعتبار أنه مروي عن ابن عباس، ووصل إلينا نحن في القرون المتأخرة.

فهو تفسير بالأثر باعتبار، وتفسير بالرأي باعتبار آخر، فيكون القسمة هنا غير دقيقة.

➢ مثله أيضًا تفسير التابعين، وهم أتباع الصحابة -رضي الله عنهم- فهم يعني باعتبار أنهم استنبطوه برأيهم وبقياسهم يعتبر تفسير بالرأي، ولكن

باعتبار أنه وصل إلينا عن طريق الرواية والأثر، فهو يعتبر تفسير بالمأثور.

- التفسير بالمأثور إما أن يكون مأثورًا عن النبي ﷺ وهذا يسمى التفسير النبوي.
- إذا صح التفسير عن النبي ﷺ نتوقف، فلا قول لأحد بعد النبي ﷺ في التفسير.

مثال لتفسير نبوي

قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر :87] السبع المثاني هي الفاتحة

الدليل: ماجاء في صحيح البخاري وفي غيره، أن النبي ﷺ قال لأبي سعيد بن المعلى -رضي الله عنه- وهو أحد الصحابة: ﴿ألا أعلمك بأعظم سورة في كتاب الله؟ فقال: بلى يا رسول الله، فقال للنبي ﷺ قبل أن يخرج من المسجد يا رسول الله: ما هي السورة التي وعدتني أن تُعلمني إيَّاها، فقال: الفاتحة، أو قال: أم الكتاب هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته﴾

قال العلماء: النبي ﷺ فسر الآية التي في سورة الحجر السبع المثاني بأنها سورة الفاتحة.

المقصود بالسبع المثاني، والمقصود بالقرآن العظيم في سورة الحجر هي: سورة الفاتحة والذي فَسَّرَ لنا هذه الآية هو النبي ﷺ والحديث صحيح في البخاري،إذن انتهى الموضوع.

فالحديث واضح أنه تفسير للآية، ونصٌّ فيها، فلا يحتمل قول النبي ﷺ معنى آخر، إنما هو نص في أن المقصود بالسبع المثاني: سورة الفاتحة.

- ماذا نقول للذين فسروا السبع المثاني بأنها السبع الطوال؟

الخطوة الأولى

عندما تأتي الآن وتفتح كتب التفسير، فتجد أن هناك عددًا كبيرًا من المفسرين، يقولون: السبع المثاني هي السبع الطوال.

نقول لهم : معذرة فقد صح عن النبي ﷺ أن السبع المثاني هي سورة الفاتحة، فلا قولَ لأحدٍ مع قولِ النبيِّ ﷺ ، فنحن نأخذ الحديث النبوي، ما دام نصًّا صريحًا وصحيحًا في تفسير الآية، ونطرح ما عداه.

الخطوة الثانية

التماس العذر لمن خالف التفسير النبوي.

- الذي خالف التفسير النبوي لا يخلو من حالين:

1) بلغه التفسير النبوي

إن كان بلغه هذا التفسير النبوي عن النبي ﷺوخالفه إلى قول واجتهاد من عنده، فهذا مخطئ ونقول: أخطأ في التفسير.

2) لم يبلغه الحديث النبوي في تفسير الآية

إن لم يبلغه الحديث النبوي عن النبي ﷺفي تفسير الآية، فنقول: جهل تفسير النبي ﷺ ففسره برأيه، فنرد تفسيره ونلتمس له العذر.

- من قواعد الترجيح وقواعد التفسير القوية جدًّا

"إذا ثبت الحديث وكان نصًّا في تفسير الآية، فلا يُصار إلى غيره"

فالنبي ﷺ إذا فسر الآية تفسيرًا واضحًا نصًّا صريحًا فنحن لا نلتفتُ إلى قوله غيره مهما كان، لا من الصحابة، ولا من التابعين، ولا من بعدهم؛ لأن قول النبي ﷺ مقدم عليهم جميعًا، وهذا نسميه التفسير النبوي.

ولكن هذا قليل في كتب التفسير، فقليلة هي الآيات التي فسَّرها النبي ﷺ مباشرة .

- ماالسبب في أن الآيات التي فسرها النبي ﷺ قليلة؟

السبب أن النبيَّ ﷺ والصحابة -رضي الله عنهم- وحتى إنَّ المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ كانوا أهل اللسان الذي نزل به القرآن، فلم يكونوا في حاجة إلى أن يستفسروا عن معنى آية من الآيات، بل ولا أذكر أنني قرأتُ في كتاب من كتب التفسير أو التاريخ أن قريشًا طعنت في القرآن الكريم بأنها لم تفهم شيئًا منه، لا أذكر أن واحدًا من المشركين قال: لم نفهم المقصود بهذه الآية يا محمد، أو أنك تتكلم بكلام لا نفهمه، كما فعل قوم شعيب ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ [هود :91]، كثير من الكلام الذي تقوله لا نفهمه.

النبي ﷺ لم يُحفظ أن أحدًا من المشركين الذين عارضوه ما تركوا وسيلة لمعارضة النبي ﷺإلا عارضوه بها، كادوا يقتلونه، وطردوه، وآذوه ﷺ ولكن لم يثبت أنهم طعنوا في القرآن، وقالوا بأن القرآن غير مفهوم، هم طعنوا في القرآن بأنه سحر، صح، وأنه شعر، وأنه أساطير الأولين. صحيح، ولكن لم يقولوا: إننا لم نفهم منه شيئًا.

ولذلك قد تجد في العرب مَن يسخر بآلهتهم ويسخر بأصنامهم، ولكنك لا تجد فيهم من يسخر بلسانهم وبلغتهم، لأن لغة العرب ولسانهم كانوا يفخرون بها، ويرون أنها أكمل ما عندهم، ولذلك نزل القرآن الكريم باللغة العربية، وكانت هي المعجزة الكبرى التي جاء بها النبي ﷺ فلما سمعوا القرآن الكريم ذهلوا، فمنهم من آمن ودخل في الإسلام، ومنهم من كابر، ولكنه ذهل من القرآن الكريم.

النبي ﷺ إذا فسر آية وصح عندنا تفسيره نستبعد أي تفسير آخر، إذا كانت الآية لا تحتمل ذلك التفسير.

✸ تفسيرصريح من النبي ﷺ ويحتمل معاني أخرى.

يأتي أحيانًا تفسير النبي ﷺ يكون صحيحًا، ويكون صريحا في تفسير الآية، ولكن الآية تحتمل معاني أخرى

مثال: في حديث عقبة بن عامر الجهني -رضي الله عنه- أن قال: ﴿خطب النبي ﷺ من على المنبر" وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ " ثم قال ﷺ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي﴾

النبي ﷺ فسر القوة في الآية بأنها الرمي، والرمي كان في عهد النبي ﷺ محدودًا، إما برمي النبال والسهام أو الرماح ،ثم جاء بعد ذلك رمي المنجنيق، اليوم أكبر وأظهر وسائل القوة هي: وسائل الرمي، تدخل فيها كل الأسلحة المتطورة حاليًا، يدخل فيها الصواريخ والبنادق ..

نقول: قول النبي ﷺ ﴿ألا إن القوة الرمي﴾

القوة: تشمل الرمي، وتشمل الضرب، وتشمل التخطيط والإعداد، كلها من القوة، ولكن الرمي أبرز صورها

ولذلك النبي ﷺ فسر القوة بأبرز صورها، ولم يمنع تفسيره من تفسير الآية بغير ذلك من الأوجه، مثل التخطيط والإعداد فكله من القوة.

نقول: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾، التخطيط العسكري يدخل في القوة، التخطيط العلمي يدخل في القوة، التعليم نفسه وإعداد الشعب وإعداد الأمة لمواجهة الأعداء هو من القوة، ولكن تفسير النبي ﷺ للرمي كان تفسيرًا بالقوة بأظهر صورها.

نقول: لو جاء أحد المفسرين وقال: يدخل في القوة التخطيط، نقول: صحيح، وهذا من باب التفسير بالمثال.

➢ فهذا نسميه التفسير النبوي

➢ ماذا يصنع المفسر الذي لم يجد تفسيرًا للنبي ﷺ للآية ؟

ينتقل للخطوة الثانية، وهي التفسير بالسنة

✸ ما الفرق بين التفسير النبوي والتفسير بالسنة؟

بينها فرق دقيق ومهم جدًّا.

التفسير النبوي:

هو ما صرح أو ما باشر النبي ﷺ تفسيره بنفسه، مثل المثالين التي قدمت (السبع المثاني، القوة الرمي). وهذا أعلى درجات التفسير

بحيث إنه يثبت أن النبي ﷺ يفسر الآية، يقول: ﴿ألا إن القوة الرمي﴾ يفسر هو هذه القوة.

التفسير بالسنة:

هو حديث أثر عن النبي ﷺ يحتمل الدلالة على هذه الآية أو على معناها، فيأتي المفسرون من بعده إما صحابة أو تابعين أو أتباع تابعين، أو غيرهم، فيجتهدون في حمل هذا الحديث على الآية.

مثال1 على ذلك: ما فعل ابن كثير في تفسيره عندما جاء إلى قوله تعالى:﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ ﴿فأغنى﴾ من الغنى، والغنى هو سعة المال عند الناس، ولذلك النبي ﷺ عندما أراد أن يصحح هذا المفهوم، فقال ﷺ ﴿ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غِنى النفس﴾ يقول ﷺ ليس الغنى الحقيقيُّ هو كثرةَ المال في يدك، ولكن الغنى الحقيقي هو غنى النفس، والقناعة التي يملكها الإنسان باستغنائه عن هذه الدنيا، لأن الذي ينساق وراء شهوة جمع المال تُفضي به إلى نسيان العبادة، ونسيان حقيقة هذه الحياة، وينشغل بجمع المال طيلة حياته، ثم يموت ويترك المال للورثة.

ابن كثير –رحمه الله– أراد أن ينفي هذا المعنى في الآية ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ حتى لا يُفهم من الآية أن النبي ﷺكان فقيرًا ثم أصبح ثريًّا من كبار الأثرياء.

فابن كثير يريد أن يلغي هذا المعنى، فجاء بهذ الحديث عند تفسيره لهذه الآية، عند قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ قال: أغناك بعد فقر، ثم قال: وقال النبي ﷺ ﴿ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس﴾

مثال2 على ذلك: ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ [الفجر]

أراد أن يفسر معنى ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ الآية معناها واضح، أن الله –سبحانه وتعالى– يقول: أنه سوف يجاء بجهنم، لكن كيف يجاء بجهنم؟ نحن لا نعرف شكل جهنم، ولا ندري كيف تكون، فجاء بالحديث عن النبي ﷺ ﴿يؤتى يوم القيامة بجهنم، ولها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها إلى الموقف﴾

إذا لم يكن كلام النبي ﷺ تفسير للآية فيأتي المفسر فيجتهد، فيحمل هذا الحديث على الآية، وهذا باب واسع وفيه اختلاف الاجتهاد، ولذلك ابن كثير اجتهد في تفسيره "تفسير القرآن العظيم" اجتهادًا رائعًا جدًّا، ويعتبر تفسير ابن كثير من أجود وأوثق كتب التفسير من هذه النقطة، وهو لأن ابن كثير –رحمه الله– محدث، وكثير من الذين كتبوا في ترجمة ابن كثير يقولون: إنه كان يحفظ مسند الإمام أحمد بن حنبل، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ضخم جدًّا ومليء بالأحاديث في التفسير.

ولذلك وفق كثيرًا في حمله معاني الأحاديث على الآيات مثل هذه الأحاديث، هذا تفسير بالسنة، ولا يوجد حسب علمي تفسير كامل مستوعب لآيات القرآن الكريم بالسنة النبوية.

تفسير القرآن بالقرآن

تفسير القرآن بالقرآن لا يدخل في التفسير بالمأثور إلا إذا كان عن النبي ﷺ أو عن الصحابة أو عن التابعين.

عندما يأتي النبي ﷺ فيفسر آية بآية، فنقول: هذا تفسير للقرآن بالقرآن، هذا صحيح، ونقول: هذا تفسير نبوي، هذا صحيح، ونقول: هذا تفسير بالمأثور، هذا صحيح، كلها تنطبق على هذا.

مثال1: النبي ﷺ عندما سُئل عن معنى قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام :82] عندما استشكل عبد الله بن مسعود معنى هذه الآية، فالنبي ﷺ قال: ﴿ليس الذي تعنون﴾ يعني ليس المقصود بالظلم هنا مطلق الظلم؛ وإنما المقصود به الشرك .

ثم استدل على ذلك بآية قرآنية في سورة لقمان، وهي قوله تعالى عندما كان يوصي لقمان ابنه ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

ففسر الظلم في سورة الأنعام بالشرك الموجود في سورة لقمان، هذا تفسير نبوي صحيح، تفسير القرآن بالقرآن صحيح، تفسير بالمأثور صحيح.

مثال2: يأتي صحابي من الصحابة فيفسر القرآن الكريم بالقرآن.

عندما جاء رجل إلى عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-، فقال: يا ابن عباس، ما معنى قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء :30]

قال ابن عباس: كانت الأرض رتقًا لا تنبت، ففتقها الله بالنبات، وكانت السماء رتقًا -يعني ملتصقة- لا تمطر ففتقها الله بالمطر، ثم قرأ قول الله تعالى في سورة الطارق: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾ يعني المطر، ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ يعني النبات.

فهذا تفسير صحابي، فهو تفسير بالرأي المحمود ، وتفسير للقرآن بالقرآن، وتفسير صحابي.

- إذا أجمع الصحابة على تفسير آية معينة ولم يختلفوا في تفسيرها، فإنه يجب على من جاء بعدهم من التابعين وأتباعهم إلى اليوم، وإلى أن تقوم الساعة أن يأخذوا بهذا التفسير الذي أجمع عليه الصحابة.
- إن اختلفوا على قولين فمن العلماء من يقول: لا يجوز إحداث قول ثالث

يعني الصحابة قالوا معنى هذه الآية كذا، وقال بعضهم كذا، ولم يختلفوا على قول ثالث، فإنه لا يجوز الخروج عن أقوال الصحابة -رضي الله عنهم- لأنهم هم أهل اللسان، وهم الذي صحبوا النبي ﷺ وهم أعرف بدلالات المعاني ، فالصحابة -رضي الله عنهم- صحبوا النبي ﷺ وشهدوا معه نزول الوحي، كانوا يرون الوحي عندما ينزل على النبي ﷺ ، فهم عرفوا كل الملابسات التي نزل فيها القرآن الكريم، فهم أقدر على تفسيره وعلى بيان معانيه ممن جاء بعدهم.

- تفسير الصحابي إذا وقع الإجماع عليه من الصحابة لا يجوز مخالفته

مسألة مهمة

مصدر التفسير، هذه من أهم المسائل وهي عندما تأتي وتعرف من أين تأخذ التفسير الصحيح

مثال على ذلك: عندما تدخل الآن على الإنترنت، ويدخل في أي محرك بحث، ويكتب السؤال، يأخذك هذا محرك البحث، يصل بك لموقع إسماعيلية، ويصل بك لموقع رافضة، ويصل بك لموقع كذابين دجالين، ويقول معنى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [البقرة :67]، قال بعض الشيعة: ﴿ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ هي عائشة -رضي الله عنها-.

فيأتي بعض مَن ليس له علم، فيقول (البقرة) في سورة البقرة المقصود بها عائشة -رضي الله عنها- فهذه خطيرة جدًّا جدًّا جدًّا، فهذا تحذير، فليس كل تفسير تجدونه موثوق به.

فلا بد من معرفة المصدر الصحيح لتفسير القرآن الكريم، فمن أهم المسائل التي ينبغي أن نتعلمها في مجلسنا هذا

أقول: التفسير الصحيح خذه من مصادره الموثوقة، في كتب السنة النبوية ، تفسير الإمام البخاري الذي ينقله في صحيح البخاري، الإمام مسلم، كتب السنن، كتب الأحاديث الموثوقة مثل مسند الإمام أحمد، هذه مصادرنا، أما نذهب إلى مصادر مشبوهة غير معلومة ألفها أعداء الإسلام من الرافضة وغيرهم، ثم نجعلها مصادر لنا، هذا خطأ جوهري.

- ✸ التفسير الذي ينبغي أن نحرص عليه ونحفظه ونتدارسه هو
- ❖ التفسير النبوي للقرآن الكريم.
- ❖ تفسير الصحابة -رضي الله عنهم- من المصادر الموثوقة إذا صح عن الصحابة وثبت.
- ❖ تفسير التابعين -رضي الله عنهم- من تلاميذ الصحابة وأتباع التابعين من تلاميذ التابعين.

من مصادر التفسير المهمة والموثوقة .

- كتاب "جامع البيان" للإمام الطبري، هذا مصدر من مصادر التفسير المهمة جدًّا.
- تفسير الإمام ابن كثير –رحمه الله– مصدر من مصدر التفسير المأثور الموثوق، وتفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة.
- تفسير الإمام ابن عطية ويتنبه إلى أنه أشعري المعتقد. وتفسير ابن عطية من التفاسير القيمة، ولكن يتجنب هذه المخالفات التي في تأويل الصفات.
- من التفاسير الموثوقة فيما يتعلق بتفسير القرآن بالقرآن، تفسير معاصر للشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله– وهو كتابه "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، هذا كتاب قيم وثمين جدًّا.

ففي العادة تكون كتب التفسير مطولة، خاصة إذا كانت سوف تتناوله آية آية وبشكل تحليلي

مثلا: عندما جاء الطبري –رحمه الله– وأراد أن يفسر القرآن الكريم لطلابه، قال لهم: هل تنشطون لتفسير القرآن؟ هل تصبرون على تفسير القرآن تكتبونه معي؟ فقالوا: كم يكون؟ قال: 30 ألف ورقة تقريبًا، قالوا: هذا تُفنى الأعمار قبل كتابته، حتى مجرد الكتابة متعبة، فقال: لا حولَ ولا قوةَ إلى بالله، ماتت الهمم.

أنا أقول: جزاهم الله خيرا طلاب الطبري، أنهم لم يوافقوه على رأيه، لأنهم لو وافقوه؛ لضاع التفسير، لأنه عندما اختصره لهم في ثلاثة آلاف ورقة، استطاع الناسخون أن يكتبوه.

لكنَّ واحدًا كان معاصرًا للإمام الطبري اسمه خلف بن أحمد السجستاني، أراد أن يكتب تفسيرًا موسوعيًّا، فأحضر مجموعة من الباحثين، وصنفوا تفسيرًا ما تركوا شيئًا إلا وأودعوه فيه، فخرج في مئة مجلد، كل مجلد يمكن خمس مئة صفحة ، فعجز الناسخون عنه، لأن في زمانهم لم يكن هناك مطابع وآلات تصوير، فما استطاع أحد أن يكتب هذا الكتاب، مئة مجلد، فضاع.

فتفسير الطبري كان قليلا، فاستطاع الناسخون أن يَكتبوا منه نُسخًا، وانتشر في الناس، ولذلك وصل إلينا تفسير الطبري، فالطبري –رحمه الله– اختصر التفسير، وتكلم في كتابه، وهو من أطول كتب التفسير مراعاة لأحوال الناس.

الطبري 26 مجلدا، القرطبي ما يقارب 24 مجلدا ، الرازي 30 مجلد، ابن عاشور 30 مجلدا، ابن كثير 9 أو 10 مجلدات.

ولذلك أنا أقول: لو اقتصرنا على كتاب أو كتابين من الكتب المتوسطة والمختصرة، وأتقناه، بإذن الله تعالى أن يكون فيه خير وفيه علم كثير.